مقدمة

الحمد لله العزيز الحليم، الذي له ملكوت السماوات والأرض القوي العظيم، وأشهد أنه لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الأمي اليتيم الأمين.. وبعد:

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: "الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم".

من هذا المنطلق - وغيره- تشرّبت قصص العلماء والعظماء وآنست سيرهم، فتولدت عندي مفاهيم حول تجاوزهم العقبات الصعبة والمصائب الهائلة، حتى إنك لا تجد منهم من وصل إلى المجد بطريق مُلئ ورداً وزهوراً، فالعقبات تملأ طريقهم، والمصائب تنتظر فرصتها للانقضاض عليهم. إلا أنهم كسبوا معركتهم معها، فلم تثن عزائمهم ولم تعق تقدمهم نحو طموحاتهم وآمانيهم.

ومن هذه العقبات، اليتم، الذي يحرم الإنسان من حنين الأب ورحمة العائل، فينشأ اليتيم وحيداً يجابه مصاعب الدنيا ومشاقها. وقليل منهم من يتجاوز ذلك... وهؤلاء هم العظماء الذين عظمت آمالهم فخلدت آثارهم.

وقد رأيت أن يطلع الأيتام وغيرهم على تجارب هؤلاء تأسياً بهم واقتداءً بتجاربهم. إلاّ أنهم بالاقتداء برسول الله -صلى الله عليه وسلم- أولى، وباطلاعهم على سيرته أحق وأحرى، فهو سيد البشر وخير خلق الله وأعظم من وطأت قدماه وجه البسيطة. وهو مع ذلك ولد يتيماً، حيث توفي والده وهو بعد في بطن أمه، ولم تقف معاناة طفولته -صلى الله عليه وسلم -عند هذا الحد، بل

توفيت والدته وهو في السادسة من عمره، فكفله جده عبد المطلب، ثم توفي جده وهو في الثامنة فكفله عمه أبو طالب.

وهو - صلى الله عليه وسلم- يكفي الأيتام وباقي الأنام قدوة؛ إذ في سيرته العلم والإيمان والعمل والإحسان والقيادة والريادة وضمت في جنباتها كل ما على الدنيا من خير وتحاشت كل ما عليها من شر.

إلا أنني لم أجد أن من إنزاله منزلته -عليه الصلاة والسلام- أن أسجل سيرته العطرة في هذا الكتاب، إذ منزلته متفردة تسمو فوق البشر لا بينهم، ولقد كتب سيرته - عليه الصلاة والسلام- الرواة والعلماء والمؤرخون والفقهاء، وهم بسيرته أعلم وبمعانيها وخفاياها أقدر مني وأدرى. لذلك لم أكتب سيرته - عليه السلام- هنا محيلاً من يريد قراءتها إلى أمهات الكتب في السيرة وهي معلومة مشهورة، وهي سيرة حري بكل إنسان-لا المسلم فقط- أن يقرأها ويتأمل معانيها وأسرارها، ففيها الماء الصافي والكنز الغالي، وفيها حديث الجِنان وراحة الجَنان، وفيها المعاني الغنية ولب الحضارة الإنسانية.

أما كتابنا هذا فقد جمعت فيه ما تيسر من سير جمع من المفكرين والفقهاء والمخترعين والأدباء ورجال الأعمال والعلماء ممن اشتركوا في خصلة واحدة وارتبطوا فيما بينهم برابطة واحدة... ألا وهي اليتم، فكلهم فقدوا آباءهم أو لم يعرفوهم فأصبحوا بلا عائل، وتركوا أمام الدنيا كجندي بلا سلاح وكقبطان بلا سفينة، تأخذهم المصاعب وتتلاعب بهم المتاعب، إلا أنهم علموا أنهم ما خلقوا لذلك وأن الله تكفل برزقهم وأمدهم بالحياة ليخوضوا غمارها بحثاً عنه، فلم توقفهم العقبات ولم تحلْ دون ما أرادوه المصاعب والأزمات ولم يختبئوا خلف يتمهم ولم ينتظروا رأفة الآخرين وإحسانهم، وعلموا أن الحياة مغامرة مثيرة أو لا شيء وأن الوصول إلى القمة يتطلب السير في القاع..وفي النهاية حققوا ما لم

يحققه غيرهم وأنجزوا ما عجز عنه الآخرون، ليسجلوا أسماءهم على نجوم الإبداع وصفحات التاريخ... إنها العظمة بحق.

ولقد كان لي معياران في اختيار أسماء العظماء في هذا الكتاب:

الأول: أن يكون صاحب الاسم يتيماً أو في حكمه، بمعنى أنه فقد أباه قبل بلوغه، أو كان لقيطاً.

الثاني: أن يكون للشخص شهرة واسعة أو آثار باقية أو أموال طائلة أكسبته تلك العظمة، بشرط أن يكون قد بنى تلك العظمة بنفسه، دون تدخل عوامل خارجية كالنسب والوراثة.

كما أريد أن أؤكد على أنّ نعتنا لأحد بأنه عظيم لا يعني - بالضرورة- موافقتنا على منهجه أو تأييداً لأعماله، بل بالطريقة التي وضعته في ركاب العظماء وبالميزة التي سجلت اسمه هناك، ولنا في رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قدوة حسنة إذ يقول:"الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق بها".

كما أريد أن أوضح بأن تسمية الكتاب هي من قبيل تسمية البعض باسم الكل، فإذا كان في هذا الكتاب بعض الأشخص لم يغيروا كثيراً في التاريخ فإننا بالمقابل لاننكر أثر أشخاص كالبخاري وابن حنبل وجنكيزخان وستالين وياسرعرفات في تغيير الكثير في هذا التاريخ.

وفي الختام أرجو من الله العلي القدير أن يكون قد وفقني من خلال هذا الكتاب لأسلي الأيتام بقصص هؤلاء العظام الذين يقاسمونهم معاناتهم علّه أن يكون من أيتامنا وسائر أبنائنا أكثر منهم عظمة وأجلّ قدراً.

الرياض ١٤٢٧/٧/٢٠هـ

عبد الله بن صالح الجمعة

(فضل كفالة اليتيم)

● عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**» وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما. رواه البخاري

قال ابن بطال -شارح صحيح البخاري- رحمه الله: "حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ﷺ في الجنة، ولا منزلة في الآخرة أفضل من ذلك".